عازف الكمان

هل يتجلّى عازف الكمان مخلصا الى حد أن يعانق كمانه في حنان وكأنه يأبى أن يفارقه؟

هكذا، تعرب الآلة الجامدة عن أحاسيس قلبه وخلجات صدره وخفايا ضميره. تحاكي بأوتارها تغريد البلابل وصداح العنادل وخرير الجداول وهينمة النسيم وحفيف الغصون وعصف الرياح... بذلك تتناغم النفس البشرية والطبيعة في سيمفونية متعددة الحركات والأبعاد.

ثمّة عطاء ندعوه إحسانا، وهو من صنيع الإنسان. الإحسان والإنسان لفظتان متوازنتان متشابهتان، نكاد نحسبهما من أصل واحد، لولا ان الأولى، تمتاز بحاء الرحمة، على نون الأنانية في الثانية. ليتهما تتماهيان على وجه يرضي الله والبشرية جمعاء.

الإحسان جسر عبور بين قلب الخالق وقلب المخلوق. وكيف يموت المحسنون، وفي أسمائهم أريج الخلود؟

الإبداع يستطيع، لغناه وعطائه، أن يخطّ لمجتمعنا نهجا يمهّد فعلا لثورة جيل هدفه التحرّر الحاسم من جمود السلفية والاتباع، والعودة الى أصالة الذات الإنسانية وينبوعها الخلّاق. وهذا عطاء يتقدّم على كل إحسان مادي آنيّ. فمن له في هذه الأزمنة من القحط الفكري بالدرجة الأولى؟

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه (بوسطن)